

ذاكرة الثورة

## تسجيل وتوثيق تاريخ الثورة الفلسطينية شهادة الاخ فاروق القدومي "ابو اللطف"

جمع وتحرير: يحيى يخلف

فاروق القدومي (أبو اللطف) قائد تاريخي وأحد مؤسسي حركة فتح وأحد قادة المسيرة لسنوات طويلة، وأحد قادة الدبلوماسية الفلسطينية .

### النكبة والبدايات

تخرجت من المدرسة العامرية بيافا، وكان من زملائي في الدراسة شفيق الحوت. كان هذا عام ١٩٤٨، ثم في عام ١٩٥٠ ذهبت الى الاراتكو وعملت في السكة الحديد للسعودية ولعدة سنوات، ثم التحقت بالجامعة الأميركية عام ١٩٥٤ وكنت منتميا الى حزب البعث العربي الاشتراكي وعندما حل عام ١٩٥٨ بدأت أبحث عن طريق للعمل من أجل فلسطين حيث كنت قد تعرفت على ابو عمار و ابو اياد وعدد من الاخوة الذين عملوا في رابطة طلاب فلسطين قبل ان يصبح هناك اتحاد عام لطلاب فلسطين، وبعد هذه الفترة ذهبت الى ليبيا لأعمل هناك ومن ليبيا الى السعودية، ثم ذهبت للعمل الى الكويت وهناك التقينا مرة اخرى مع الاخ ابو عمار والأخ أبو اياد ومع زملاء آخرين، ولا شك في ذلك التاريخ كانت الظروف قد نضجت.

شكل نجاح الثورة الجزائرية حافزا لنا، وللقيادات الفكرية الفلسطينية من اجل استلهام الثورة الجزائرية، فنشأت الهيئات والنويات في البلدان العربية من مجموعات صغيرة أهمها حركة فتح، وكان فيها اخوة كبار ويمتلكون تجربة، وكما قلت كان الأخ أبو عمّار والأخ أبو جهاد، والأخوة عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان، وأبو الأديب، وصلاح خلف، وخالد الحسن، وعلي ناصر ياسين.

وبالطبع كنت أنا، وأسسنا حركة فتح، وكنت أشرف على اللجنة السياسية واخراج نشرة سياسية، وكنا أيضا قد أصدرنا مجلة فلسطينا منذ العام ١٩٥٨ وكان للأخ ( أبو جهاد ) اليد الطولى في تأسيسها ومتابعتها، بالتعاون مع الأخ توفيق حوري وهو أخ لبناني نحترمه ونقدّره.

## الانطلاقة

عام ١٩٦٤، في ذلك التاريخ كان هناك احتمال عقد مجلس وطني فلسطيني في القدس فتشاورنا واجتمعنا في الكويت بمن حضر. كان هناك رأيان، بعضهم يقول لابد من الانطلاقة وآخرون يقولون بالتأجيل. حقيقة قلت يجب أولاً انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني، يعني اقرار العرب بضرورة وجود كيان فلسطيني، أو دعنا نقول جيش فلسطيني جيش التحرير فهذا يعني دعما لاتجاهنا المسلح، واخيرا قررنا خطة (حتى يغيب القمر) للانطلاقة وكنا في الكويت، وكلف الأخ ابو يوسف النجار قائدا عاما من اجل الانطلاقة والأخ أبو عمّار نائباً له، فكانت الانطلاقة يوم ١-١٠-٦٥ في عملية نفق عيلبون والتي ارتقى فيها احمد موسى أول شهيد.

وكان للانطلاقة صدى واسع، غير أنّ بعض القوى الفلسطينية الموالية للمرحوم احمد الشقيري انتقدت حركة فتح وادّعت ان هذا التوقيت خاطيء وأن قادة فتح لم ينسقوا مع عبد الناصر، وقالوا ما اسميناها التاءات الثلاث، أي أن انطلاقة فتح كان يتعين عليها أن تختار توقيت غير هذا التوقيت، وأن تقوم بالتنسيق، لكيلا يحدث توريط للدول العربية في حرب غير مستعدين لها، يعني التاءات الثلاث ( توقيت، تنسيق، توريط).. وقد كتبت مقالا حول ذلك ورددت على هذه الإدعاءات. كما أنّ بعض الاخوان القوميين كان يعتقدون أن فتح حركة اسلامية، فلما قرأوا الرد بمضمونه القومي بدأت الاتجاهات القومية تنظر بتقدير واحترام نحو حركة فتح.

أنا التحقت بحركة فتح وأنا أحمل فكرا قوميا، وفتح فيها قيادات من خلفيات سياسية من كل الاتجاهات، لكننا تركنا الأحزاب وانصهرنا في فكر فتح الوطني.

وما زلت أذكر كيف تعلمنا الوطنية منذ الصغر، وعلى سبيل المثال عندما كانت الحرب دائرة عام ١٩٤٨ كان هناك صياد في يافا يصيد السمك، وكنا ونحن شباب نعرفه ونزوره، ولما بدأت الحرب التحق ليقاتل ضد الاسرائيليين حيث كان يتقن استخدام الـ (TNT) وغيرها من المتفجرات، وخاض معركة ضد مستوطنة بيت فجار في المنطقة الجنوبية من يافا وكنا امامها في الحارة فذهبنا اليه وكان يحمل معه بعض الجرحى، فأكبنا فيه هذه البطولة. وصقّق له شباب الحارة بحرارة، فغضب الرجل، وقال: لو كان في أيديكم سلاح لما صفتكم. فكان هذا الحديث بالفعل احد الأمور التي اثرت بي بشكل كبير.

## اعتقال القيادة في دمشق عام ١٩٦٦

عام ١٩٦٦ جاءنا خبر حادث استشهاد المرحومين يوسف عرايي ومحمد حشمة في دمشق والملابس التي رافقت ذلك، واعتقال أبو عمّار وأبو جهاد وأبوصبري وأبوعلي إياد، وبعض الأخوة الآخرين وكلهم قيادات ووضعو في السجن، جاء اخ اسمه حسام الى الكويت يخبرنا فبحثنا كيف يمكن ان نعالج هذه المسألة، وتم القرار ان الاخ ابو اللطف له علاقة جيدة ولكن من يذهب معه قال الاخ عبد الله الدنان انا اذهب معه، وبالفعل ذهبنا وكان لي علاقات بالاخوة هناك والشعبة الفلسطينية بحزب البعث، وكان اخ اخر اسمه لطف غطوس، عندما قابلناهم سألونا عن الإخوة وتوجهاتهم السياسية، وأجبناهم عن هويتهم، قالوا كنا نظن ان هؤلاء إخوان مسلمون، قلت لهم أنا امين سر اللجنة المركزية كيف اخوان مسلمون.

فاستغربوا من ذلك وذهبنا لمقابلة القيادة القطرية وقابلنا وزير الدفاع آنذاك حافظ الاسد، كما بدأت اتصالاتي مع من نعرفهم من اخواننا في حزب البعث، القيادة القطرية، ثم عدت الى الكويت ومكثنا هناك فترة من الزمن لتقييم الموقف مع الإخوة في القيادة، وبعد ذلك عدت الى دمشق مرة أخرى وكانت قد توترت الاوضاع اكثر فقررت الاستعانة بالأخ أبو إياد، فكتبت اليه برقية اركب اقرب طائرة واتجه فورا الى دمشق، وفي غيابي كانوا قد وضعوا الاخ ابو عمار في الزنزانة فوصلنا الى هناك، وذهبنا الى وزير الدفاع آنذاك حافظ الاسد، فقال له ابو اياد يقولون انك سوف تشنق هؤلاء. قال يا رفيق ابو اللطف من قال لكم ذلك؟ قلت له شائعات يا رفيق ابو سليمان ( كنا نقول له ابو سليمان رحمه الله)، فنادى على الاخ خالد وهو مرافقه وهمس في اذنه ثم قال تفضلوا اذهبوا اليه واخرجوه، فذهبنا الى الزنزانة واخرجنا الاخ ابو عمار ففرح طبعاً وكانت هذه بشرى لنا وكان الأخ أبو جهاد قد خرج بعد وفاة ابنه الصغير.

خرج الأخ أبو عمار ومن معه باستثناء الأخوة ابو عبد العكلوك، وزكريا عبد الرحيم، والزمغوت. لكن ابو العبد وزكريا خرجا بعد محاكمة، وحكم على الزمغوت بالموؤبد.

بعد هذا الحادث مباشرة وكنت اقيم في فندق قاسيون بدمشق، اتصل بي أبو إياد وقال يا ابو اللطف اختفى ابو عمار بعدما اخرجناه من السجن، فذهبت اليه حيث يقيم وكان الاخوان جميعا موجودين، قالوا : ماذا نفعل؟ قلت لهم: دعونا نسال اخواننا السوريين.

عادة كنا نذهب الى الاخ احمد السويدي رئيس الاركان وكانت علاقتنا به جيدة وكان يستمع الينا، فعندما دخلت عليه بعد الساعة الثانية عشرة ليلا قال هل هناك بعض الحوادث؟ قلت له آسف ان اقول لك ان الاخ ابو عمار اختفى ونريد ان نبحث عنه، ونعرف أين هو؟ وتوقعاتنا أن يكون قد اعتقل إما من اللبنانيين أو الاسرائيليين، اذا اسرائيل الله يعوضنا لكن اذا القوات اللبنانية ممكن

ان نجد حلا، قال استريح اشرب فنجان قهوة والاخ ابو اياد ينتظر، فخرج قليلا ثم عاد وقال لي: لا تخافوا هو عند الاخوان اللبنانيين. ثم حدثت تدخلات وأفرج عنه.

## المؤتمر الأول ومعركة الكرامة

عقدنا المؤتمر الأول لحركة فتح عام ١٩٦٧ وحضره عدد ضيق، لانه عقد في بيت أبو جهاد، من الرعيل الأول يعني شباب كانوا معنا لاننا نحن سابقا شكلنا لجنة مركزية، وهؤلاء الشباب كانوا معنا وكانوا في نفس الوقت اعضاء في هذا المؤتمر ومنهم صلاح الزواوي ومختار بعباع ومحمود فلاحه الذي كان يشتغل سكرتير عند الرئيس الاتاسي، وصبحي أبو كرش وابو منهل وابو العبد العكلوك.

بحثنا كيف نصعد النضال بعد نكسة حزيران وضرورة ان نستمر في الثورة .

كنت الموجه السياسي في معركة الكرامة، كنت مع أبو عمار، وأبو جهاد، وأبو إياد، وأبو صبري، وكان معنا كوادر هامة ومنهم صلاح التعمري، والحاج اسماعيل، وغيرهم، وكانت ام يوسف أم الشهداء، معنا أشبال حوالي مائة وعشرين وحفرنا لهم الانفاق حتى يختبئوا بها.

لم يكن احمد جبرين معنا. كان الأخ نصر يوسف في غور نمرين، كان ربحي الذي وضع الحزام الناسف. كان هناك شباب تدربوا في الصين التعمري واخرون يتسلحون بالبندق ومدافع الهاون وال آر بي جيه. وقد تصدت للدبابات الاسرائيلية مجموعات شجاعة اول مجموعة متقدمة استشهدت وهي تتصدى للإسرائيليين وتوقع بهم خسائر فادحة. كانت معركة الكرامة ملحمة بطولية. كان هناك الجيش الاردني والقائد العسكري اللواء مشهور حديثه الذي أبلى بلاءً حسن هو وجنود وضباط الجيش الأردني، وصعدنا أنا وأبو اياد الى الجبل، وكان الأخ ابو عمار يدير المعركة وكان في المنطقة الشمالية، وبعد أن صعدنا أنا وأبو اياد حوالي مئتين أو ثلاثمائة متر، جلس أبو اياد الى جانب صخرة، والتقينا الأخ أبو صبري، فواصلنا المشي الى ان وصلنا مغارة في الجبل هناك قال انا لن اذهب حتى يخرج آخر فدائي مناضل من المعركة سالما، وبقينا حتى الساعة الخامسة والثلاث، انسحب الاسرائيليون بعد الضربات التي تلقوها خاصة من المدفعية الاردنية وعدنا في الليل مشيا الى قاعدتنا في السلط، ولم يصل أحد منا عمان الأبعد ظهر اليوم التالي، وكانت ام اللطف تبحث عنا ونزلت هي وصديقة لها من سوريا الى بلدة الكرامة تستفسر عني، فأدخلوها الى موقع فيه ثلاثة وتسعين شهيدا وقالوا لها ابحتي عنه بين هؤلاء الشهداء. وبدأت أبحث عنها بدوري عندما علمت بذلك واتصلت هاتفيا وقلت لها انا موجود.

في معركة الكرامة قاتل الفدائيون ببسالة، وبسلاحهم البسيط، يجب ان نعترف انه لم يكن عندنا الا عدد من قوادف آر بي جي ٢، ولما حدثت المعركة وانتهت، أرسل الرئيس عبد الناصر لجنة من

الجيش مع خبراء روس وفحصوا ما جرى، وشاهدوا دبابه مضروبة والجندي الاسرائيلي بداخلها، وبعد فترة من الزمن بعثوا لنا الأريبيجيهات ٧، وكان ذلك بداية لامتلاكنا نوعاً متقدماً من السلاح.

## العلاقة مع عبد الناصر

حتى معركة الكرامة لم نكن قد التقينا بالرئيس عبد الناصر، فأول مقابلة طلبناها كنا ما زلنا في الكويت. كنت مع أبو عمار ومعنا الأخ محمود مسودة (أبو عبيدة) دعانا صلاح نصر مدير المخابرات، وبدأ يتحدث معنا، ووعدنا بترتيب موعد مع الرئيس عبد الناصر. انتظرنا يوم يومين ثلاثة، ولم نقابل عبد الناصر وكان ابو عمار موجوداً في بيت أخيه الكبير، ووجدته قلقاً وقال لي: ماذا نقول للناس. وبذكائه وجد مخرجاً من المأزق حتى لا يقول الآخرون وخاصة جماعة الشقيري أن عبد الناصر رفض مقابلتنا. وكان في العمارة التي يسكن فيها شقيقه جمال الصوراني عضو لجنة تنفيذية مع الشقيري، وكذلك عبد الفتاح الشريف وكان يعمل مع الشقيري في منظمة التحرير، ففكر الأخ أبو عمار بذكائه المعهود أن يخترع كذبة بيضاء، فانظر نزول عبد الفتاح الشريف وتظاهر أنه يهيه نفسه للذهاب الى المطار ورثب سيارة تنتظره، وعندما نزل الرجل من شقته قابل أبو عمار فسأله عن أخباره، فأجابه جئنا والتقينا الرئيس عبد الناصر، ثم ركب السيارة وذهب الى المطار.

اخونا عبد الفتاح خير الشقيري ان ابو عمار قابل عبد الناصر.

أنا مكثت في مصر أمارس نشاطا سياسيا مع القوى والشخصيات التقدمية والقومية ومع الطلبة الفلسطينيين هناك، ومحاولة بناء علاقات مع المستوى السياسي الرسمي المصري.

ولم نجح في البداية واقتصرت علاقاتنا مع اللواء صادق الذي كان مسؤولاً عن الاستخبارات العسكرية. وكانوا يطلبون قبل الـ ١٩٦٧ ألا نصعد العمليات في غزة الا بالتنسيق معهم.

وأحيانا عندما كنت أسافر يوقفوني في المطار فيأتي الأخوة من الجهات المختصة ويدخلونني. بعد عام ١٩٦٧ وتصعيد الكفاح المسلح بدأت العلاقات تتحسن، وجاء أحد كوادرننا وهو الرائد خالد (رحمه الله استشهد في ما بعد إثر غارة اسرائيلية على قواعدنا في السلط) وكانت تربطه علاقة شخصية بالسيد محمد حسنين هيكل. التقى بي وذهبت أنا وإياه لمقابلة هيكل.

وعندما دخلنا قدمت له نفسي كعضو لجنة مركزية، وقدمت الرائد خالد كعضو مجلس ثوري.

اغتاظ هيكل وقال لي: اذهب وقابل رئيس المخابرات المصرية أمين هويدي، فأجبتته: نحن نريد أن نقابل المستوى السياسي وليس جهاز المخابرات، تعبنا من كثرة لقاءاتنا مع الجهات الأمنية.

ثم جلسنا معه وتحدثت معه طويلا عن أفكارنا وأهدافنا وطموحاتنا وتوجهاتنا القومية. وفي نهاية الحديث، قلت للاستاذ هيكل مرة أخرى نحن نريد ان نقابل سياسيين وليس مخبرات فأجاب: امهلني عشرة دقائق، وسأحاول.

غاب عنّا عشرة دقائق بالفعل، ثمّ عاد، وقال غدا ستقابل سياسيا، قلت له: سيكون معي أخ من اخواننا وهو عضو لجنة مركزية قال احضره معك. كان المعني هو الأخ ابو اياد الذي كان في ذلك الوقت موجودا في القاهرة.

عندما خرجنا اتصلت به وقلت له ستكون هناك مقابلة مع شخص سياسي، والسياسي هو علي صبري على ما أظن.

في اليوم التالي التقينا هيكل وركبنا معه في سيارته.

على الطريق سألنا مازحا: أتعرفون الى أين أنتم ذاهبون؟

وكنا وقتها على مشارف حي منشية البكري حيث يسكن الرئيس عبد الناصر.

أجبتة وقد أدركت ماهية المفاجأة: نعم نعرف عند سيادة الرئيس.

دخلنا منزل الرئيس، وجلسنا في الصالة ننتظره وكنت أحمل حقيبة جلد لونها أخضر، جلست ووضعتها بجانبني، ولفت هيكل نظري أن هذا المقعد سيجلس عليه الرئيس، فانتقلت الى مقعد آخر ونسيت أن أخذ حقيبتي.

دخل الرئيس عبد الناصر علينا انا وابو اياد وهيكل، وجلس وبدأت الحديث معه كالتالي: نحن فتيّة آمنوا بالله وبربهم وبقضيتهم فمننا من هو القومي ومننا من هو البعثي ومننا من هو الناصري، قال لا يوجد حزب ناصري قلت له انا ناصري يا سيادة الرئيس فضحك، وانا قلت للاستاذ هيكل نحن نريد ان نقابل رجلا سياسيا فضحك وقال قبل مجيئكم جائتني برقية من المخبرات ان رجال الفتح دخلوا ليغتالوني، ثمّ ضحك وقال لمن هذه الشنتّة الخضراء قلت سيادة الرئيس هي لي فيها أوراقني اذا شئت افتحها، قال لا شنتّة الفتح ما تنفتح، وتحدث ابو اياد وقدم له شرحا وافيا، فقال لأبو إياد انا سأقسم الرغيف بيني وبينكم، وتأكدوا من ذلك. قلت يا سيادة الرئيس نحن نريد اتصلا سياسيا لا مخبراتيا، قال طيب. وقال سيكون محمد حسنين هيكل هو الصلة السياسية وانت قلت ان صادق كان صادقا معنا قلت له نعم يا سيادة الرئيس، قال واللواء صادق هو العلاقة الأمنية. وانتهت المقابلة وخرجنا وبدأت العلاقة تتطور بالفعل.

ثمّ كان لنا معه اللقاء التاريخي بعد معركة الكرامة، وصرّح بعدها أن المقاومة الفلسطينية وجدت لتبقى.